﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ [القصص: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لَمّا ذَكَّرهم اللّهُ بنِعَمِه عليهم تذكيرًا أُدْمِجَ في خلالِ الرَّدِّ على قولِهم: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ [القصص: 57] بقوله: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: 57]، أعْقَبه بأنَّ كلَّ ما أوتوه مِن نعمةٍ هو من متاعِ الحياةِ الدُّنيا وزينَتِها؛ لئلّا يَحْسَبوا أنَّ ما هم فيه مِنَ الأمنِ والرِّزْقِ هو الغايةُ المطلوبةُ فلا يَتَطَلَّبوا ما به تحصيلُ النَّعيمِ العظيمِ الأبَديِّ، وتحصيلُه بالإيمانِ[1].

الدُّنيا ومتاعها شـيءٌ زهـيدٌ وضئيلٌ باعتبار ما ادّخـره اللهُ لـعـبـاده مـن خيرات

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾: (بقي) أصلٌ واحِدٌ، وهو الدَّوامُ؛ وهو ضِدُّ الفَناءِ[2]، والباقي ضربان: باقٍ بنَفسِه لا إلى مُدَّة، وهو الباري تعالى، ولا يصحُّ عليه الفَناء، وباقٍ بغيره، وهو ما عداه ويصحُّ عليه الفَناء. والباقي باللّه ضربان: باقٍ بشَخصِه إلى أن يشاءَ اللّه أن يفنيه، كبَقاءِ الأجرام السَّماويَّة، وباقٍ بنَوعِه وجِنْسِه دونَ شخصه وجزئه، كالإنسان والحيوان. وكذا في الآخرة: باقٍ بشَخصِه كأهلِ الجنَّة، فإنَّهم يَبْقَون على التَّأبيد لا إلى مدَّةٍ. والآخر بنوعِه وجِنْسِه. ولكون ما في الآخرة دائمًا، قال اللّه ﷻ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ﴾[3]. وعليه فالمقصود بالأبقى في الآية: هو الخالد الدائم الذي لا نفادَ له، ولا ينتهي ولا يزول[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 154.

(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بقي).

(3) البزار، مسند البزار، الحديث رقم: (4187)، والرّاغب، المفردات: (بقي).

(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 292، وسيد طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 426.

2) ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: أصلُ (عقل) يدلُّ على حُبْسَةٍ في الشَّيْءِ أو ما يُقارِبُها، ومِنْ ذلك العَقْلُ؛ وهو الحابِسُ عَنْ ذَميمِ القَوْلِ والفِعْلِ[1]، وهو ضِدُّ الحُمق والجَهل[2]، والمعقولُ: ما تَعْقِلُه في فؤادك. ويأتي العَقْلُ بمعنى: الفَهْم والتَّمييز، والعَقْلُ أيضًا: الشَّدُّ والرَّبطُ[3]، والجَمع: عُقولٌ. ومعنى التَّعقُّل في الآية: التَّدبُّر والتَّفكر، أي: أفلا عقولَ لكم تتدبَّرونَ بها فتعرفون بها الخير والشّرّ، وتُؤْثِرونَ الدّائِمَ عَلَى الفاني[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ما آثَرَ أحَدٌ الدُّنيا إلّا لِنَقصٍ في عقْلِه

يُبيِّنُ اللّه تعالى حقارةَ الدُّنيا وما فيها مِن متاعٍ بالنِّسبةِ لِما أعَدَّه للمؤمنينَ في الآخرةِ مِنَ النَّعيم العظيم، فيقولُ: وما آتاكم اللّهُ مِن الأموالِ والأولادِ وغَيرِها مِنَ النِّعَمِ واللَّذّاتِ، فإنَّما هو مَتاعٌ تَتمَتَّعونَ به في حياتِكم الدُّنيا، وتَتزيَّنونَ به فيها، ثمَّ يَزولُ عنكم سريعًا، ولا يَنفَعُكم بشَيءٍ، وما عند اللّه في الجنَّة من الثَّواب خير في نفسه من ذلك؛ لأنَّه لذَّة خالصة عن شوائب الألم، وبهجة كاملة عارية عن سمات الهمِّ، وأبقى؛ لأنه أبَديٌّ، أفلا تَتدَبَّرونَ - أيُّها النّاسُ - بعُقولِكم، فتَعرِفونَ بها أنَّ ثوابَ الآخِرةِ الباقيةِ خَيرٌ مِن نَعيمِ الدُّنيا الفانيةِ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قولِه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾:

في العطفِ تذكيرٌ بمزيدٍ من عطاءِ اللهِ الأبقى لمنْ آمنَ وعملَ صالحًا

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، المحكم: (عقل).
(2) الخليل، العين: (عقل).
(3) الرّاغب، المفردات: (عقل).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 292.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 292، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 302، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المّنان، ص: 621، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 7/ 1795.

ٱلدُّنۡيَا﴾ عاطفةٌ[1]، والمعطوفُ عليه قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنًا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص: 57]، بجامع أنّ كليهما حديثٌ عن المشركين الذين قالوا: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ﴾ [القصص: 57]؛ لئلّا يَحْسَبوا أنَّ ما أعطاهم اللّهُ من هذا الأمنِ والرِّزْقِ هو الغايةُ المطلوبةُ، فلا يَتَطَلَّبوا ما به تحصيلُ النَّعيمِ الأبَديِّ بالإيمانِ[2].

دلالة (ما) في قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾:

ما عند الله خيرٌ وأبقى من كلّ ما أوتيه أهلُ الدنيا

(ما) تَحْتَمِلُ أنْ تكون اسمَ شرط جازم في محلّ رفع مبتدأ، وقوله: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديره (هو) أي فهو متاع، والجملةُ جوابُ الشّرط، واسمُ الشّرط نكرةٌ موصوفة تفيدُ العموم، والمعنى: أيُّ شيءٍ أوتيتموه فهو متاعُ الحياة الدّنيا الذي تحقّقَ لكم قِصَرُهُ وزواله. ويحتملُ أنْ تكون (ما) اسمَ موصول في محل رفع مبتدأ، و﴿أُوتِيتُم﴾ صلته، وقوله: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ خبره، وقُرِنَ بالفاء لِما في المبتدأ من معنى العموم[3]، على طريقِ الإخبارِ والتّنبيه، كما في قولِه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: 53][4].

دلالة التّعبير بالإيتاء:

مبالغةٌ في بيانِ انحطاطِ كلّ ما يُؤتاه الإنسانُ من متاعِ الدّنيا

عبّر البيانُ القرآنيُّ بالإيتاء دون الإعطاء في قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ لكونها أنسبَ لمقصودِ الآية وسياقها اللذَيْن يقرّران أنَّ ما يُؤتاه الإنسان في الدّنيا من كلِّ شيء – سواءٌ من الأمورِ الماديّة أو المعنوية – هو متاعٌ قاصرٌ زائلٌ لا خلودَ فيه ولا بقاء له؛ إذ الإيتاءُ هو عطاءٌ من دون تملّكٍ، ويمكن أنْ يُنزعَ، أو يُستردَ، ويشملُ الأمورَ المعنوية والماديّة، بخلافِ العطاء فهو تمليكٌ لا يُنزعُ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 356.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 154.
(3) حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 1417.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 86.

ولا يُستردُّ، ويقتصرُ على الأمور الماديّة، والحسيّة، والمالية، إذن في التّعبير بالإيتاء مبالغةٌ في بيانِ عدم قيمةِ كلّ ما يُؤتاه الإنسانُ في الدّنيا من الأمور المادية أو المعنوية في مقابل ما عند اللّهِ من ثواب.

نكتة بناء الفعل ﴿أُوتِيتُم﴾ لغير فاعله:

عـدمُ التّصريحِ بالفاعل تحقيرٌ لمتُعِ الدّنيا

آثرَ البيانُ الإلهيّ التّعبيرَ بالمبني للمفعول ﴿أُوتِيتُم﴾؛ للتّركيزِ على الحدثِ وحصرِ الوعي فيه، والمعنى: وما أوتيتم من أيِّ مؤتٍ كان[1]، ولتحقيرِ مُتَعِ الدّنيا[2]، ولبيانِ جلالة المعطي، فهذا الذي أوتيتموه من كلّ متاعِ الدّنيا وزينتها لا يساوي عند اللّه شيئًا، ولذا لم ينسبه لذاته العليّة.

دلالة جمع المسند إليه في ﴿أُوتِيتُم﴾:

شـأنُ الكافرين اجتماعُ قلوبِهم على حبّ الدّنيا الفانية

جمعَ البيانُ القرآنيُّ المسند إليه؛ وهو نائبُ الفاعل في ﴿أُوتِيتُم﴾، والمخاطبون جماعةُ كفارِ مكّة، وليس شخصًا بعينه[3]؛ للدّلالة على الاستخفافِ بكلّ ما أوتوه جميعهم؛ من مُتَع الدّنيا وحُطامها التي يحرصون عليها، وللإشارةِ إلى اتّفاقهم واجتماعهم على التعلّق بالدّنيا وزينتها.

لطيفة الالتفات من الغَيْبَة إلى الخطاب:

الـتّـوبـيـخُ بالمواجهةِ أشدُّ على النّفوس

التفتَ الكلامُ من الغَيبة في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا﴾ [القَصَص: 57] إلى الخطابِ في قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾؛ لأنَّ ما تقدّم من الكلام في الرّد على المشركين وإبطالِ أعذارهم، وبيانِ تفاهةِ حججهم بعد تعدادِ نعمهِ عليهم؛ أوجبَ توجيهَ التّوبيخِ مواجهةً إليهم[4]، وللإيماءِ بأنّ حالهم لا يغيبُ عنه سبحانه.

معنى ﴿مِّن﴾ في القيد ﴿مِّن شَىْءٍ﴾:

الـدّنـيـا مـتـاعٌ قليلٌ وإن تكثّرت منافعُها

﴿مِّن﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ بيانيّة؛ أي بيانٌ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 331.
(2) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام، ص: 204.
(3) الشّوكاني، فتح القدير: 4/ 209.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 153.

لـ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾[1]، والمرادُ: من أشياءِ المنافع، كما دلَّ عليه المقامُ؛ لأنَّ الإيتاءَ شائعٌ في إعطاءِ ما ينفع[2]، ويمكن أنْ تكون لتوكيدِ عمومِ ﴿شَيۡءٖ﴾؛ فإنّها نكرةٌ في سياقِ النَّفي، ودخولُ ﴿مِّن﴾ عليها يزيدها في التَّعميم، أي "استغراقِ أفرادِ المتاعِ العاجلِ"[3].

دلالة التّعبير بـ ﴿شَيۡءٖ﴾:

عـمـومٌ وإبـهـامٌ يشيرانِ إلى القلّة والتّحقيرِ لمتاعِ الدّنيا وزينتها

أفادتْ مفردة ﴿شَيۡءٖ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ الشمولَ التّامّ، والاستقصاءَ الشاملَ لكلِّ ما يصحُّ أنْ يُطلقَ عليه لفظُ شيء ممّا أوتيه أهلُ الدّنيا؛ لأنّها في أصلِ مادّتها هي عبارةٌ عن كلّ موجود، إمّا حسًّا كالأجسام أو معنًى كالأقوال[4]، فهي أعمُّ العام[5]، ولأنّها سُبقتْ بـ (ما) وهي من ألفاظ العموم. كما أنّ الإبهامَ الذي في مفردة ﴿شَيۡءٖ﴾ يومئُ بالقلّة والتّحقيرِ لمتاعِ الدّنيا وزينتها.

دلالة تنكير ﴿شَيۡءٖ﴾:

تـهـويـنٌ لـشـأنِ مـا في أيـدي الـكـافـريـن من مالٍ ومتاعٍ مهما بلغَ كثرةً

نكّرَ البيانُ الإلهيُّ لفظَ ﴿شَيۡءٖ﴾ في قولِه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾؛ لإفادةِ المبالغة في الشّموليّة والعموم، حيث يشيرُ إلى كلّ ما يمكن أنْ يمتلكه الإنسانُ من متاعٍ وزينةٍ في هذه الحياة مهما كان نوعه أو قيمته؛ سواءٌ من هذه الأشياءِ التي بأيدكم مِن الأموالِ والأولادِ وغَيرِها مِنَ النِّعَمِ واللَّذّاتِ[6]، فكلُّ ذلك لا قيمةَ له في الحقيقةِ؛ لكونه قاصرًا زائلًا ومؤقَّتًا ولا يمكنُ أنْ يدوم.

معنى (الفاء) في قوله: ﴿فَمَتَٰعُ﴾:

في اقـتـرانِ فـنـاءِ مـتـعِ الـدُّنـيـا بوجودها إشارةٌ إلى سرعةِ زوالها وانحطاطِ شأنها

(الفاء) في قوله ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾ رابطةٌ لجواب

(1) حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 1417.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 153.
(3) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 620.
(4) الرّاغب، المفردات: (شيأ).
(5) الزّبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (شيأ).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 292، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 331.

الشّرط وجوبًا، إذا كانت (ما) في قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ شرطيَّةً، والتّقدير: (وما أوتيتم من شيء فهو متاعُ الحياة الدّنيا)[1]، وهي بذلك تدلّ على اقترانِ معنى النَّفادِ والاستهلاكِ والزّوالِ بإيتاءِ هذا المتاع، ممّا يدل على سرعة زواله؛ فكأنّ فناءه مقترنٌ بوجوده!

وأمّا إنْ كانت (ما) موصولةً، فالفاءُ حرف عطفٍ اقترنَ بالخبر (متاع) لِما في المبتدأ من معنى العموم[2].

دلالة التّعبير بالمتاع:

منافعُ الدّنيا كالمتاعِ الذي من شأنه الفناءُ والزوالُ

سمّى البيانُ الإلهيُّ منافعَ الدُّنيا متاعًا في قوله تعالى: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾؛ لأنّها تفنى ولا تبقى، إذ أصلُ المتاع في اللغة يدلّ عَلَى مَنْفَعَةٍ وامْتِدادِ مُدَّةٍ في خَيْرٍ[3]، والمتاعُ هو كُلُّ شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ويُتَبَلَّغُ بِهِ ويُتَزَوَّدُ والفَناءُ يأْتي عَلَيْهِ في الدُّنْيا[4]، وفي هذا إشارةٌ إلى نفادِهِ واستهلاكه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٢٤﴾ [الأعراف: 24]، أي: فهو شيءٌ شأنه أنْ يُتمتّع ويُتلذّذ به أيامًا قلائل، ثم أنتم وهو إلى فناءٍ وزوال[5].

نكتة تعريف (متاع) بالإضافة:

متاعٌ قاصرٌ وقتُه قصيرٌ محشوٌّ بالمنغّصات ممزوجٌ بالغصص

عرّف النّظمُ الحكيم (متاع) في قوله تعالى: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالإضافة إلى الحياة؛ ليبيِّن أنّ هذا المتاعَ لا يعودُ نفعُه إلى غيرها، فهو إلى نفادٍ وإنْ طالَ زمنُ التّمتّع به[6]، فهو متاعٌ قاصرٌ محشوّ بالمنغّصات وممزوجٌ بالغصص[7]، ولا يغني عنهم عند الله

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 42.
(2) حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 1417.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (متع).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (متع).
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والريحان: 21/ 244.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 331.
(7) السّعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 621.

شيئًا[1]، وذلك لأنّهم لم يجعلوا الدّنيا وما فيها من مُشتَهيات وزينة وصلةً إلى تحصيلِ الثّواب في الدّار الآخرة.

دلالة التّعبير بـ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾:

الحياةُ الدّنيا دارُ اختبارٍ لا دار قرار

التّعبيرُ بـ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ يحملُ دلالاتٍ عميقةً ومتعدّدةً ضمن السّياق القرآني، منها دلالةُ المؤقتيّة والزّوال، ومنها دلالةُ الشّموليّة؛ فلامُ التّعريف فيها للجنس، أي تشملُ جميعَ جوانبِ الحياة؛ من مالٍ ومنصب وجاهٍ وعلاقاتٍ، وغيرها من متاعِ الدّنيا الذي يجبُ على الإنسان ألّا يجعله محورَ حياته. كما أنّ الحياةَ ترمزُ للاختباراتِ والتّجارب والفرص التي يُعطيها اللّهُ للإنسان في الدنيا، بما يتضمّن تحذيرًا وتذكيرًا بأنّها دارُ اختبارٍ لا دار قرارٍ.

دلالة وصف ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ بـ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾:

غايةُ ما يعيشه طـلابُ الـدّنـيـا حـطـامٌ قـلـيـلٌ خسيسٌ سريعُ الانقضاء

وصفَ النّظم الحكيم ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ المضافة إلى ﴿فَمَتَٰعُ﴾ بـ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ ليحدّد الحياة في الآية بأنَّها الحياةُ الدُّنيا، أي الحياة الأولى والقريبة من النّاس بوقتها المضروب، وأحوالها المقدّرة بقدرِ اللّهِ وقدرته مُقابل الحياة الآخرة التي لم تُذكر هنا لكنّها مفهومة من السّياق. ولكي يشير كذلك إلى قِصرِ التّمتّع في هذه الحياة، وقلّته وسرعةِ زواله وانقضائه، وكأنّه لم يكن؛ لأنّ الدُّنيا إنّما سُمّيتْ بهذا الاسم لدنوّها، أو لدناءتها[2]، ويكفي هذا لبيانِ نقصها، فهي مشتقةٌ من الدُّنوّ، والأصل في الدُّنوّ أن يكون إلى سُفْل، ومن هنا استُعْمل الدُّنوّ في الهبوط المعنوي، ومن هذا قالوا للخسيس السّاقط: إنّه لدَنيٌّ، من أدنياء[3].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 604.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/ 120.
(3) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (دنو).

وقد أفادَ التَّعبير بصيغة فعلى في ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ المبالغةَ في الوصف،؛ إذ صيغةُ فُعلى تدلّ على قوّةِ الوصف؛ لأنّها مؤنثُ أفعل[1]، أي المبالغةَ في وصفِ الدُّنيا، سواءٌ في دنوّها وزوالها، أو في دناءتها وخسّتها، وليس هناك وصْفٌ أدنى من هذا الوصف[2].

معنى (الواو) في ﴿وَزِينَتُهَا﴾:

الحياةُ الدنيا كلّها بمتاعها وزينتها إلى نفادٍ وفناءٍ وإنْ طالَ زمنهما

(الواو) في قوله: ﴿وَزِينَتُهَا﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ إذ كلاهما وصفٌ لِما ينتفعُ ويتلذّذُ به الإنسانُ في الحياة الدُّنيا، سواءٌ أكان ضروريًّا من ضروريات الحياةِ ولا غنى عنه أم شيئًا زائدًا عنها لزيادةِ حُسْنِها؛ وكلاهما مقصورٌ على الحياةِ الدُّنيا، لا يعودُ إلى غيرها، وهو إلى نفادٍ وإنْ طالَ زمنُ التّمتّعِ والتّلذّذ به[3]، ومن ثَمَّ فهي وزينتها خسيسةٌ لا تساوي عند اللّهِ جناحَ بعوضة[4].

دلالة التّعبير بمفردة الزينة:

مبالغةٌ في بيانِ حقارة الدُّنيا وزهارةِ منافعها وملذّاتها

عبّر البيانُ الحكيمُ بلفظ الزّينة في قوله ﴿وَزِينَتُهَا﴾، والتي تعني كلّ شيءٍ يُتزيّن به[5]، وكلّ ما فيه حُسْنُ الشيء وتحسينه، وهو زائدٌ عن أصل الشَّيء ومُجتَلَبٌ إليه لتجميله[6]؛ مبالغةً في بيانِ حقارة الحياةِ الدُّنيا؛ وأنّ النَّقصَ في الدُّنيا لا يقتصرُ على متاعها فقط، وإنّما يشملُ زينتَها أيضًا.

دلالة الإضافة في ﴿وَزِينَتُهَا﴾:

زينةُ الحياةِ الدنيا قليلةٌ قصيرةٌ زائلةٌ تقتضي من العاقل أنْ لا يركَنَ إليها

إضافةُ الزّينة إلى الضميرِ العائد على الحياة الدّنيا في قوله تعالى: ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَا﴾، أي: وزينة الحياة الدُّنيا؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 282.
(2) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 13/ 8237.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 331.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 604.
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (زين).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (زين).

للتّحقيرِ والتّقليل بهذه الزّينة، وأنّها قصيرةٌ قليلةٌ بقصرِ عمر الإنسان المحدود المليء بالأكدارِ والمنغّصات، بخلافِ نعيم الآخرة، وهذا يقتضي بالعاقل أنْ لا يركَنَ إلى زينةِ الحياة الدُّنيا وزُخْرُفِها، وإنّما يتعلّق بالآخرة.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾:

(الواو) في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ حاليّةٌ[1]، والمعنى: أنّ كلّ ما أُعطيه طلابُ الدّنيا وأبناؤها في الحياةِ الدُّنيا فهو متاعٌ وزينةٌ قاصران زائلان بزوالها، والحالُ أنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى[2].

علة التّعبير بـ (ما) في قوله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾:

كلُّ ما عند الله من نعيمِ الآخرة هو خيرٌ وأبقى

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ موصولةٌ؛ أي: والجزاءُ الذي ادُّخِر ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ﷻ، وهو الثّوابُ، ﴿خَيْرٌ﴾ لكم في نفسهِ من متاعِ الدُّنيا وزينتها[3]، وهي تفيدُ العموم، إذ إنّها تُستعملُ للشّيء غير المحدّد من الرّضوان ورؤيةِ وجههِ الكريم، وما عنده من جناتِ النّعيم، وما فيها من الطّعام والشّراب وغير ذلك من نعيم الجنة، أي كلُّ ما عند الله من نعيمِ الآخرة لا يُحَدُّ حدُّه سواءٌ الخالدُ بخلوده، أو الخالدُ بإخلاده هو خيرٌ وأبقى.

دلالة إضافة الظّرف ﴿عِندَ﴾:

النّعيمُ من العظيمِ سبحانه نعيمٌ عظيمٌ دائمٌ بدوامه

إضافةُ الظَّرف ﴿عِندَ﴾ إلى الذّاتِ المقدّسة الجامعةِ لكلّ صفاتِ الجلالِ والجمال ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾؛ للدّلالة على عظمةِ ما ادّخره اللّهُ لعباده من النّعيمِ العظيمِ الدّائم بدوامِ الله، والمعنى: ما عند الملكِ الأعلى ممّا تُتَمِّرُهُ لكم المتابعةُ من الثّواب – الذي وعَدَكُموه في الدّار الآخرة التي دلّ عليها دلالةً

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 356.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 604.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والريحان: 21/ 244.

واضحةً إطباقُكم على وصفِ هذه بالدُّنيا - خيرٌ، فهو أكثرُ وأطيبُ وأظهرُ، وأحسنُ وأشهى، وأبهجُ وأزهى، وهو مع ذلك كلّه أبقى[1].

دلالة التّعبير بمفردة ﴿خَيْرٌ﴾ وتنكيرها:

أجناسُ الآخرة خيرٌ وأكمل

التّعبيرُ بلفظ ﴿خَيْرٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ على تقدير مشاركة ما في الدُّنيا له في الخيريّة في ظنّكم[2]، يدلُّ على أنّ أجناسَ الآخرةِ خيرٌ ممّا أوتوه من متاعِ الدُّنيا في كمالِ أجناسها[3]، فخيراتُ الدُّنيا منقرضةٌ منقضيةٌ وخيراتُ الآخرة دائمةٌ باقيةٌ بالضرورة[4]، ومع التّفضيل على الدُّنيا فإنَّ ﴿خَيْرٌ﴾ تدلُّ على عمومِ الخيرية في كلِّ شيءٍ يُستلذُّ ويُستطاب، مع الدّوامِ وعدمِ الانقطاع، وأمّا التَّنكيرُ لها فيدلُّ على تعظيمِ هذا الكمالِ وتفخيمه؛ أي وما عندَ اللّهِ في الجنَّةِ أفضَلُ في وصفه وكميّته[5].

وفي وصف ما عند الله من نعيم الآخرة بالخيريّة وتعظيمه حثٌّ على طلبه والرّغبةِ فيه، ليقابلَ التّزهيدَ في متاعِ الحياة الدُّنيا، وتهوينَ شأنه.

معنى (الواو) في قوله: ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾:

الـجـمـعُ بين صفتي الخيريّة والأبديّة لِما عندَ الله كمالٌ مع كمالٍ

(الواو) في قوله: ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه ﴿خَيْرٌ﴾[6]؛ إذ كلاهما وصفٌ لكمالِ ما عندَ اللّهِ سبحانه من النّعيم، إلا أنّ أحدهما صفةٌ للخيرية في ذاتِ النّعيم؛ لأنَّه لذَّةٌ خالصةٌ عن شوائبِ الألم وبهجةٌ كاملة عارية عن سِمةِ الهمِّ، والآخر صفةُ الأبديّة لهذا النّعيم، وذلك في مقابل متاعٍ دنيويّ مشوبٍ بالألم متّصفٍ بالزوال[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 331.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 331.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 154.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 10/ 213.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 292.
(6) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 356.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 20.

دلالة التّعبير بمفردة البقاء في ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾:

أبديّة نعيم الآخرة زيادةُ كمالٍ في خيريتها

﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ صفة تدلُّ على كمالٍ بعد كمال؛ إذ البقاءُ في اللغة هو دوامُ الشّيءِ وثباتُه على حاله الأولى[1]، أي من كمالِ الخيريّة الذي تميّز بها ما عند الله من نعيم الآخرة أنّه يتّصفُ بصفةِ البقاءِ وعدم الزَّوال، فهو كمالٌ أبديٌّ لا يَلحقُ أصحابَها تنغيصٌ بألمٍ أو نقصانٍ أو انقطاعٍ وفقدانٍ، وهو كمالٌ لا ينقطع ولا يزول ولا يفنى، فهو دائمٌ أبدًا[2].

وهي صيغةُ تفضيلٍ، أي ما عند الله من نعيمٍ أبقى من متاعِ الدُّنيا الزائل الفاني؛ لأنّه وإنْ شارك متاعَ الدُّنيا في أنّه لم يكنْ أزليًا فهو أبديٌّ[3]، فمتاعُ الدُّنيا منقطعٌ منقرض، ونعيمُ الآخرة باقٍ أبديّ، والدّائمُ الباقي خيرٌ من المنقرضِ المنقضي.

نكتة حذف متعلّق ﴿خَيۡرٞ﴾، ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾:

أفضليّةُ الآخرة على الدُّنيا بخيريّة نعيمها وأبديّته أمرٌ معلومٌ لا يجهلهُ عاقل

حُذفَ متعلّق ﴿خَيۡرٞ﴾ و﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أي المفضّلُ عليه؛ إذ التّقدير: خيرٌ من متاع الدُّنيا وزينتها وأبقى؛ اختصارًا؛ للعلم به؛ لأنّه قد دلّت عليه المقابلة والمفاضلة مع متاع الدُّنيا وزيتنها، وذلك باعتبار أنّ ما في الدُّنيا متاعٌ عاجلٌ زائلٌ يلحقُ مُعظَمَه مؤاخذةٌ وعذابٌ[4]، وتحقيرًا لشأن هذا المتاع الدّنيويّ القاصر الزّائل من أن يُذكر.

معنى (الفاء) في قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

الإخبارُ بخيريّةِ ما عندَ الله وخلوده ودونيّةِ وفناء ما يؤثره الكفار إعلامٌ بفسادِ عقولهم

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه محذوفٌ يقتضيه السّياق[5]، والتّقدير: (ألا تتفكّرون فلا تعقلون أنّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (بقي).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 292.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 14/ 331.
(4) السّمين الحلبي، الدّر المصون: 4/ 601.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 356.

الدُّنيا فانيةٌ، والآخرةَ باقيةٌ؛ فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)[1]، وذلك على مذهب الزمخشري القاضي بجواز أنْ تكون الهمزة في موضعها ومدخولُها محذوف، أو أنْ يكون المعطوف قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ وذلك على مذهب الجمهور القاضي بأنّ الهمزة مقدّمةٌ من تأخير؛ لأنّ الاستفهام له الصّدارة في الكلام، وأنّ الأصل: (فألا تعقلون)[2].

وهي تفريعيّةٌ؛ فرَّعت على الإخبار بخيريّة ما عند الله وخلوده ودونيّة ما يؤثرونه وفنائه باستفهامٍ توبيخيٍّ وتقريريٍّ على عدم عقل المخاطبين؛ لأنّهم لَمّا لم يستدلّوا بعقولهم على طريق الخير نزلوا منزلةَ من أفسد عقله، فَسُئِلوا: أهُمْ كذلك؟[3]. أو لأنّ من شأنِ العقلاء أنْ يُؤْثِروا الباقي على الفاني، والذي هو خيرٌ على الذي هو أدنى[4]. وتحملُ كذلك معنى السببيّة؛ أي: فلمّا بانَ أنّه لا يُقْدِمُ على خطر المخالفة المذكور خوفًا من خطرِ المتابعة الموصوف عاقلٌ؛ توجّه الإنكار عليهم[5]. أو أنّ الفاء جاءت للتّوكيد، أي توكيد إنكارِ عدمِ تعقّلهم، والتّعجّب من تركهم التّفكيرَ وتوبيخهم على ذلك، وتوكيدٌ لحثّهم على إعمالِ العقل.

معنى همزة الاستفهام وغرضه في ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

الهمزةُ هنا للاستفهام، وهو في صورته اللفظية المذهبان المتقدمان: فعلى مذهبِ الجمهور يكون الاستفهامُ لتقريرهم بعدمِ التّعقّل، ثمَّ توبيخهم عليه مع الحثّ على إعمالِ العقل، أي قرّرهم على الحقيقة وفزّعهم بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ وإنّما يجيءُ هذا

نخسةٌ للضالّين الذين حرصوا على أموالهم وزهدوا في عقولهم

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 21/ 245.
(2) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام، ص: 203.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 154.
(4) سيد طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 426.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 331.

الخطاب في المخاطِب عند تعامي المخاطَب عن تحقّق البيانِ وتبالهه عن الأمرِ الواضحِ، فلا أوضحَ من عِظَمِ الآخرةِ إلى جنبِ الدُّنيا، ومتى ذكرَ فضلَ الآخرة على الدُّنيا فزّع وقرّر، كقوله تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٣٢﴾ [الأنعام: 32][1].

وعلى مذهب الزّمخشري يكون الاستفهامُ للإنكار، أي أتَغفُلون عن هذه الفروق الواضحة بين المتاعَيْن فلا تعقلون؟!

وفي الاستفهام كذلك - مع المعنيين السّابقين، وهما التّقرير أو الإنكار - معنى التّوبيخ، والتّهييج في الحثّ على إعمالِ العقل، وحسن النَّظر المُفضيان إلى التّمييز بين متاعَي الحياتين الدُّنيا والآخرة[2]. وفي هذا كلّه نخسةٌ لهؤلاء الضّالين الذين حَرَصوا على أموالهم، وزَهِدوا في عقولهم، فلم ينظروا بها إلى أكثرَ ممّا وراءَ المال والمتاع![3].

مرجع ضمير الخطاب في ﴿تَعۡقِلُونَ﴾:

الخطابُ للكافرين بمكّة ويصلحُ عظةً لجميعِ النّاس

ضميرُ الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ يرجعُ إلى كفّار مكّة؛ لأنّ السّياق يتحدّثُ عنهم؛ فقد تَقَدَّمَ الآيةَ ذِكْرُ الكفار، وهم المغترّون بزينةِ الدُّنيا من مساكن وأموالٍ وخدمٍ، والدَّليلُ على أنّ الخطابَ لهم - وإنْ صلحَ عظةً لجميعِ النّاس - التفصيلُ الذي جاء بعده في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾[4].

دلالة جمع الفاعل في ﴿تَعۡقِلُونَ﴾:

اجتماعُ الكافرين على تعطيلِ عقولهم دليلٌ على شدّة غفلتهم وفسادِ فطرتهم

في التّعبير بالجمع في فاعل ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ إشارةٌ إلى شدّة غفلة الكافرين وفسادِ فطرتهم؛ إذ اجتمعوا على تعطيلِ عقولهم وعدم

(1) ابن برجان، تنبيه الأفهام: 4/ 278.
(2) المطعني، التّفسير البلاغي للاستفهام، ص: 204.
(3) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 10/ 371.
(4) الخطيب الإسكافي، درّة التّنزيل وغرّة التّأويل: 1/ 988.

تفكّرهم، وكان المفترض أنْ يكون الاجتماع منهم سببًا في عدم غفلتهم؛ لأنّ العقولَ باجتماعها تتكامل.

نكتة إطلاق ﴿تَعْقِلُونَ﴾ عن التّعبير بمعقولٍ معين:

حذفَ البيانُ القرآنيُّ مفعولَ تعقلون؛ اختصارًا؛ لدلالةِ ما قبله عليه؛ أي أفَلا تَعْقِلونَ هذه التوجيهات الحكيمة، وتعملون بمقتضاها، فإنّ من شأنِ العقلاء أنْ يُؤثروا الباقي على الفاني، والذي هو خيرٌ على الذي هو أدنى[1]. ولإفادةِ العموم كذلك، أي: أفلا تعقلون كلّ توجيهٍ، وكلَّ فرقٍ، وكلّ أمرٍ واضحٍ يشهدُ بزوالِ وفناءِ الحياة الدنيا، ونعيم الآخرة الباقي، ففي حذفه إيماءٌ إلى غفلتهم عن الأمورِ الواضحات والتّوجيهات البيّنات.

كـلُّ مـا حـول الـغـافـلـين من فـروقٍ واضحاتٍ بين متاع الدّنيا وثـوابِ الآخـرة يـسـتـدعـي تعقّلهم

نكتة التّعبير بلفظ ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

عبّر النصّ القرآنيُّ بلفظ العقل؛ لأهميّة العقلِ في الإسلام؛ فهو الأداةُ التي يستطيعُ بها الإنسانُ تمييزَ الحقّ من الباطل، والخير من الشّر، والهدى من الضّلال؛ إذ العَقْلُ هو العِلمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنِها وقُبحِها، وكمالِها ونُقصانِها[2]، والعاقِلُ هو الَّذي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها[3]. وفي هذا التّعبير دعوةٌ للمخاطبين إلى إعمالِ عقولهم وعدم تعطيلها؛ وفيه أيضًا تعريضٌ بهم؛ إذ الأمرُ واضحٌ جليٌّ لا يحتاجُ في معرفته لمزيدِ تعمّقٍ وإدراكٍ لدقائقه وخفاياه، ولهذا لم يُعبّر بالفقه، بل يكفي منه مجرّد معرفةِ صفات الأشياء من حُسنِها وقُبحِها، وكمالِها ونُقصانِها، ليستنبطَ عن طريق قوّةِ العقل أنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى[4]، ولا يُقْدِمُ على مخالفة ذلك إلا غير عاقل[5].

ما آثَرَ أحَدٌ الدُّنيا إلّا لِـنَـقـصٍ في عقْلِه

(1) سيد طنطاوي، التّفسير الوسيط: 10/ 426.
(2) الرّاغب، المفردات، والزّبيدي، تاج العروس: (عقل).
(3) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 367، وابن منظور، لسان العرب: (عقل).
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 93.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 331.

دلالة المضارعة في ﴿تَعۡقِلُونَ﴾:

عبّر النّظم الحكيم بصيغة المضارعة في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾؛ لإفادة إنكارِ عدمِ تجدّد تعقّلهم وتفكّرهم لهذا الأمر الواضحِ؛ من أنّ الدّنيا فانيةٌ وأنّ متاعها تشوبهُ الأكدارُ المتكرّرة.

توجيه القراءات في الفعل ﴿تَعۡقِلُونَ﴾:

قرأ أبو عمرو بخُلْف عن السوسي ﴿يَعۡقِلُونَ﴾ بياء الغَيبة[1]، إمّا لمناسبةِ الغَيبة في قوله تعالى قبلُ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾ [القصص: 57][2]، أو على الالتفاتِ عن خطابِ المشركين؛ لتعجّب المؤمنين من حالهم، أو لأنّهم لمّا كانوا لا يعقلون نُزّلوا منزلةَ الغائب؛ لبعدهم عن مقامِ الخطاب[3]، أو إعراضًا عن خطابهم إلى خطابِ غيرهم، وهو النبيّ ﷺ توبيخًا لهم[4]، فقد اقتضى سوءُ صنيعهم الإعراضَ عن مخاطبتِهم[5].

في الغَيبةِ إعراضٌ عن مخاطبتهم لسوءِ صنيعِهم وفي الخطابِ توبيخٌ لهم بالمواجهة

وقرأ الجمهور بالتّاء الفوقانية ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ على خطابهم؛ تناسبًا مع قوله تعالى في صدر الآية: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ التي هي خطابٌ لهم[6]، وفي ذلك توبيخٌ لهم بالمواجهة في كونهم أهملوا العقل في العاقبة.

توجيه المتشابه اللفظيّ في الآية:

الاختلافُ بين الآيتين: إنّ في آيةِ القصص عطفَ البيانُ القرآنيُّ بالواو، وذكر فيها الزّينةَ إضافةً إلى المتاع، وختمها بقوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾. بينما في آية الشّورى عطفَ

من بلاغةِ القرآن مراعاةُ السّياقِ لحال المخاطبين

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/ 342.
(2) محيسن، المغني في توجيه القراءات العشر: 4/ 123.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 154.
(4) محمد مطني، سورة القصص دراسة تحليلية: 2/ 1.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 20.
(6) أبو علي الفارسي، الحجّة للقراء السّبعة: 3/ 298، ومحيسن، المغني في توجيه القراءات العشر: 4/ 123.

بالفاء، ولم يذكرِ الزّينة، وإنّما اكتفى بذكرِ المتاع، وختمها بقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ [الشورى: 36] قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ [الشورى: 36]. وتوجيهُ ذلك: أنّ الكلامَ في آية القصص لم يتعلّق بما قبله كبيرَ تعلّقٍ، فناسبَ مجيء الواو المقتضية لمطلقِ الجمع، وأمّا في آية الشّورى فالكلامُ متعلّقٌ بما قبله أشدّ تعلّق؛ لأنّه عقَّبَ ما لهم من المخافة بما لهم من الأمنة، فناسبَ مجيء الفاء المقتضية للتّعقيب[1]. وذِكرُ الزّينة في آيةَ القصص؛ لأنّ السّياق في ذكر الكفار، وهم المغترّون بالدُّنيا وزينتها من مساكن وأموال وخدم؛ وقد جاءت بعد قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ [القصص: 59]، فخاطبَ الذين أوعدهم بمثل ما أهلكَ به مَن قَبْلَهم، وأنّه ليس لكم فيما تؤتونه في الدُّنيا عوضٌ مّما يفوتكم في الأخرى؛ فجميعُ أغراضِ الدُّنيا مستوعَبٌ بهذين اللفظين، ومن ثمّ ناسبَ ختمها بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾. وأمّا آية الشّورى فقد تقدّمها آياتُ نعمةٍ على عباده، في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [الشورى: 32] إنْ شاء أنجى أهلها، وإنْ شاء أهلكهم بذنوبهم، والمؤمنون بالآخرة لا يغترّون بزينةِ الدُّنيا؛ فناسبَ عدمُ ذكرِ الزّينة؛ ولأنّه ليسَ القصد في هذا المكان استيعابُ جميع ما يؤتون في دنياهم، بل هو مطلوبهم في تلك الحال من النّجاة والأمن في الحياة، فلم يحتجّ إلى ذكرِ الزّينة، ومن ثمّ ناسب ختمها بقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ [الشورى: 36][2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المتاع والمنفعة:

المتاعُ عامٌّ في كلّ ما يُتمتّع به؛ إذ أصلُه يدلّ عَلَى مَنْفَعَةٍ وامْتِدادِ مُدَّةٍ في خَيْرٍ، وتمتّعتَ بالشّيء إذا طالَ تلذّذك به، والمتاعُ: ما يَستمتعُ به الإنسانُ في حوائجه من أمتعةِ البيت ونحوه من كلّ شيء[3]، وكُلُّ شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ويُتَبَلَّغُ بِهِ ويُتَزَوَّدُ والفَناءُ يأْتي عَلَيْهِ في الدُّنْيا فهو متاع[4]، فأصل المَتاع ما ينْتَفع بِهِ انتفاعًا قَليلًا غير باقٍ، بل يَنْقَضي عَن قريب[5]،

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والريحان: 21/ 246.
(2) الخطيب الإسكافي، درّة التنزيل وغرّة التّأويل، ص: 987 - 988، وابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص: 286.
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (متع)، والعسكريّ، الوجوه والنّظائر، ص: 454.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (متع).
(5) الكفويّ، الكليّات، ص: 804.

وأمّا المنفعة: فهي خلاف الضّرّ، والنَفْعُ: ما يُستعانُ به في الوُصول إلى الخيرات، وما يُتوصّل به إلى الخَيْر فهو خير[1]، إذن: المتاعُ هو النّفعُ الذي تكون معه لذّة، بينما المنفعة لا يُشترط أنْ تصاحبها لذّة؛ فقد تكون المنفعة بما تتأجّل به اللذة[2]، فكلُّ متعةٍ منفعةٌ، وليس كلُّ منفعةٍ متعةً؛ فإنّه قد يُنتفع بألمٍ يؤدّي إلى لذّةٍ في العاقبة[3]، ومن هنا ناسبَ التّعبير بالمتاع مضافًا إلى الدّنيا؛ ليشملَ كلّ ما يَستمتعُ به الإنسانُ ويتلذّذ به في الدّنيا.

كلّ ما يَستمتعُ ويتلذّذُ به الإنسانُ في الدّنيا فانٍ مهما طالت مدّته

الزّينة والجمال:

الزَّينُ خلافُ الشَّين، والزّينةُ في أصلها تدلّ على حُسْن الشّيء وتحسينه[4]، وهي تحسينُ الشّيءِ بغيرهِ من لِبسة، أو حِلية، أو هَيئة، فهي اسمٌ جامعٌ لكلّ شيء يُتَزَيَّنُ به[5]، والتّزيّنُ: التّحلّي بحليةٍ مُجتلبةٍ تقليدًا لِما هو ناشئٌ من البدن، كالتّجمّل بالأصباغ ونحوها، فالزّينةُ هي الحليةُ الظّاهرة[6]، والزّينةُ الحقيقيّة: ما لا يَشينُ الإنسان في شيءٍ من أحوالهِ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة[7]. وأمّا الجمالُ فهو البهاءُ والحُسْنُ والتّمامُ، ويَكونُ في الفِعْلِ والخَلْق، وفي الصّوَر والمَعاني، ومِنْهُ الحَديثُ: «إن اللّه جَميل يُحِبُّ الجَمال»[8]، أي حَسَنَ الأفعالِ كاملُ الأوصاف، مِنْهُ تَفيضُ الخَيراتُ الكَثيرَةُ فيُحِبّ مَنْ يَخْتَصُّ بذلك[9]، والجَمالُ: الحُسْنُ الكَثير، وذَلِكَ ضَرْبان: **أحدهما:** جمالٌ يُخْتَصُّ الإنسانُ بِهِ في نَفْسِه أو بَدَنِه أو فِعله، **والثّاني:**

الـزّيـنـةُ هي الحِلْيةُ المُجْتَلَبةُ الـخـارجـةُ عن أصـلِ المُـزيّـن بـهـا والـجـمـالُ الحُسنُ الذّاتيّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (نفع).
(2) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 196.
(3) تفسير ابن فورك، ص: 360.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زين).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (زين).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي، وأحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (زين).
(7) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (زين).
(8) مسلم، صحيح مسلم، رقم 91.
(9) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (جمل).

ما يَصِلُ مِنْهُ إلَى غَيرِه[1]. إذن الفرقُ بين الزينة والجمال: هو أنّ الزّينةَ تحسينُ الشّيء بغيره، والتّحلّي بحِلْيَةٍ مجتَلَبةٍ، فهي الأشياءُ الخارجةُ عن أصل المزيّن بها، والتي تُضاف للتّحسين. بينما الجمالُ هو شدّةُ الحُسن ويكون ذاتيًا وليس مُجْتَلَبًا، ويتعلّقُ بصفات جوهرِ الشّيء الحسيّة والمعنويّة. وقد أتى التّعبيرُ بالزّينة معطوفًا على متاعِ الحياة الدُّنيا؛ ليشمل كلّ أعراض الحياة الدُّنيا.

العقل والفقه:

العَقْل: هو القوّة المتهيّئة لقبولِ العلم، أو هوَ العِلمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنِها وقُبحِها، وكمالِها ونُقصانِها[2]، فالعَقْلُ: نَقيضُ الجَهْلِ، يُقال: عَقَلَ يَعْقِلُ عَقْلًا، إذا عَرَفَ ما كان يجهله قبل، أو انْزَجَرَ عمّا كانَ يفعله، ورجلٌ عَقولٌ، إذا كان حَسَنَ الفَهْمِ وافِرَ العَقْلِ[3]. والعَقْلُ: الحِجْر والنُّهى والحفظ، والحصر والحبس، وضِدُّ الحُمْق، والعاقِلُ الَّذي يَحْبِس نَفْسَهُ ويَرُدُّها عَنْ هَواها[4]. وأمّا الفقهُ: فهو الفطنةُ وإدراكُ الشيء والعلمُ به، ثمّ اختصَّ بذلك علمُ الشريعةِ؛ فقيلَ لكلِّ عالمٍ بالحلالِ والحرامِ: فقيهٌ[5]. والفقهُ هو العلم بمقتضى الكلام على تأمّله[6]، وفسَّره الرّاغب: بالتَّوصُّلِ إلى علمٍ غائبٍ بعلمٍ شاهدٍ، فهو أخصّ من العلم[7]. وأوثرَ استعمال العقل هنا دون الفقه؛ لأنّه يكفي من الإنسان أنْ يعرفَ صفات الأشياء من حُسنِها وقُبحِها، وكمالِها ونُقصانِها، ليستنبطَ عن طريق قوّةِ العقل أنّ ما عند الله خير وأبقى ممّا أوتيه من متاع الدُّنيا الزائل، فيحبسَ نفسه ويحفظها من الانغماسِ في المهالك.

العقلُ مسلكٌ من مسالكِ الكَشْفِ عن الخَيرِ الأبقى

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (جمل).
(2) الرّاغب، المفردات، والزّبيدي، تاج العروس: (عقل).
(3) العين، الخليل، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عقل).
(4) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 367، وابن منظور، لسان العرب: (عقل).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّبيدي، تاج العروس: (فقه).
(6) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 412.
(7) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (فقه).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»